بطولة ملك

١٠



الصَّبْرُ يَنْفَدُ!

د. عبد العزيز بن عبد الرحمن الشثيان

مكتبة العبيكان

بطولة ملك

(١٠)

الصَّبْرُ يَنْفَدُ!

د. عبد العزيز بن عبد الرحمن الثُّنَيَّان

مكتبة العبيكان

ح مكتبة العبيكان، ١٤١٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الثُنيّان، عبد العزيز بن عبد الرحمن

الصبر ينفد. ـ الرياض.

٢٤ص، ١٧ X ٢٢ سم (سلسلة بطولة ملك؛١٠)

ردمك: ٢-٤٨١-٢٠-٩٩٦٠

١- عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، ملك السعودية

٢- السعودية ـ تاريخ الملك عبد العزيز ٣- كتب الأطفال ـ السعودية

أ ـ العنوان ب ـ السلسلة

ديوي ٩٥٣،١٠٥ ١٨/٤٠٩١

ردمك: ٢-٤٨١-٢٠-٩٩٦٠ رقم الإيداع: ١٨/٤٠٩١

الطبعة الأولى

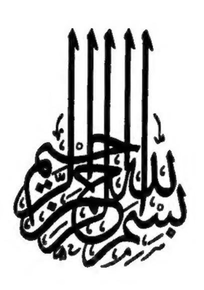
١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م

مكتبة العبيكان

الرياض ـ العليا ـ تقاطع طريق الملك فهد مع العروبة.

ص.ب: ٦٢٨٠٧ الرياض ١١٥٩٥

هاتف: ٤٦٥٤٤٢٤، فاكس: ٤٦٥٠١٢٩


بسم الله الرحمن الرحيم

الصَّبْرُ يَنْفَدُ!

لعلَّ اسمَه عواضٌ أو ردَّادٌ، المُهِمُّ أنه كانَ تاجراً للأغنام، وكانتْ له في مكةَ المكرمة حظوةٌ ومكانةٌ، واحترامٌ وتقديرٌ، ووجاهةٌ ومهابةٌ. إلا أنه في البادية منبوذٌ ومكروهٌ، يشمئزُّونَ لرؤيَتِه، ويتنهَّدُونَ لطلْعَته.

كانَ يرهقُ رجالَ البادية ليَغْنَى سيِّدُه الأكبرُ؛ فقدْ كانَ يَبْخَسُهُم الأسعارَ في مواشيهم ليتباهَى عند زعيمه الحسين بن عليٍّ.

كانَ يشتري من البدو أغنامَهم بأدنَى الأسعار وأبخَس الأثمَان، ويبيعُها للحُجَّاج بأغلاها.

ألفُ رأس من الأغنام اشتريْنَاها بثلاثة آلاف، وبعناها اليومَ يا مولانا بعشْرة آلاف.

هذه ثلاثةُ آلاف لأصحاب المواشي يا مولانا، وهذَا الباقي لكُم.

ويأخذُ السيّدُ المبلغَ ويعطي التاجرَ شيئاً منه.

وكانَ الرجلُ من المقرَّبين للديوان الهاشمي؛ لا لعبقريَّته في تجارة

الأغنام، والقسوة على الحُجَّاج، وإحضار المال لسيِّده، ولكنْ لأنَّه يتفنَّنُ في رواية الأخبار السيِّئة، وزَعْم الأقاويل الباطلة، وحكاية القصَص الكاذبة.

مولايَ: السَّنةُ سَنةُ جَدْب في نَجد. لقد جفّت الآبارُ، وهلكت ألوفُ الإبل، وجاعَ الناسُ هنَاك.

السيدُ: صحيحٌ، سبحانَ الله! أنتَ يا بُنيَّ أعلمُ الناس بأحوال نجد.

مولاي: ابنُ سُعود مريضٌ، إنه مضروبٌ بالرِّئة، ويقولونَ: إنه السُّلُّ، وصاحبُ هذا الداء لا يعيشُ.

السيد: صَحيحٌ، صحيحٌ، سبحانَ الله! لا يَصْدُقُني الخبرَ غيرُك.

مولايَ: لقد خرجَتْ عليه القبائلُ في الأحساء، وهم يقولونَ: إنَّهُم لا يريدونَ غيرَ الملك حسين.

السيدُ: هذا الذي أقولُه دائماً يا ابني، ستخرجُ عليه القبائلُ كلُّها، وكلُّها تجيئُنا إن شاءَ الله.

إنَّها الأحلامُ والأمانيُّ، والآمالُ والخيالُ، والهُراءُ والتخريفُ؛ إنَّ

عبد العزيز قائدٌ قويُ الشخصيةِ ، عظيمُ الهيبةِ، يردُ الجانحَ، ويتسامحُ ويَعفُو ويُكرم ويُعطي.

إنَّ نجداً أطاعَتْ سلطانَها وأحبّته، وامتثلَتْ لأمره وَفَدَتهُ.

ولكنْ في الحجاز أطاعت الرعية الحسين خوفاً ورهبة؟!

إن الحجاج يدفعون رسوماً فوقَ طَاقَاتهم، ويتعرَّضونَ للابتزاز والسَّلب، وعلى المطوِّفينَ أن يُسلِّمُوا الحسينَ نصفَ ليرة عَن كل حَاجّ. فكيفَ يألفونه؟!

جاءَ أحدُ المطوِّفين ذاتَ يوم، وقالَ: مولايَ الحسينُ: حُجَّاجي فقراءُ لا يبذلونَ.

قالَ الحسينُ: يا بُنَيَّ، الحجاجُ كلُّهُم أولادُنا، والفقراءُ نساعدُهم، لا تأخذْ شَيئاً منهم، ولا تُطالبْ بشيء، كلُّهم أولادُنا، يجبُ أن نساعدَهم.

واستبشرَ المطوِّفُ، وعملَ بأمر مولاهُ، وأعفَى الحُجَّاجَ من الرسوم، ولكنَّه بعدئذ أُلزِمَ بدفع الرَّسْم، نصْف ليرة عن كلِّ حاجٍّ. ودَفَعَ المسكينُ المالَ من كيسه.

إنَّ هذا المطوِّفَ حزينٌ، يتميَّزُ من الغيظ علَى هذا الظلم والتعالي.

وحينَ يرغبُ الحجاجُ في زيارة المدينة المنوَّرة يدفعونَ خمسَ عشرةَ ليرة أجرة الجمَل من مكَّةَ إلى المدينة، ويسلِّمُونها لعُمَّال الحسين، حيثُ يدفعونَ للجَمَّال الضَّعيف خَمسَ أو ستَّ ليرات، أمَّا الباقي فلمَوْلاهم.

وزاد التعالي، وعظُمَ التمادي، ومنع الحسين حجاج نجد من أداءَ فريضَتهم.

ومرت خَمْس سَنوات وحُجاج نَجد يُحْجَبون، ويُرَدُّونَ، ويُمنَعُون عن أداء فريضَتهم، عن الرُّكن الخامس من أركَان الإسلام.

وزادَ شوقُهم، وعظُمَ حنينُهم، وطالَ انتظارُهم.

إنهُم الأقربونَ للبيت الطاهر ويُمنعون. إنهم المجاورونَ للدِّيار المقدَّسة ويُحجَبون.

وجاءَت الوفودُ إلى الملك البطل، وألحُّوا عليه، وصاحُوا:

يا الإمامُ، صَبَرْنَا كثيراً، يا عبدَ العزيز، رخِّصْ لنَا في الحسين بن عليٍّ. سوفَ نحجُّ بالقوَّة، سوفَ ندخلُ مكةَ ونحنُ أعزةٌ.

يا الإمامُ، بلادُ نجد كلُّها تَغْلي، وقبائلُها تتميزُ من الغَيْظ، وبيوتُها تتملْمَلُ منَ الحسرة. لماذَا نُمنعُ منَ البلاد الطاهرة؟! لماذا الركنُ الخامسُ من أركان الإسلام نُصَدُّ عنه؟!

يا الإمامُ، دَعِ السيفَ يَفصلْ ويحكمْ بينَنا وبين الحسين.

يا الإمامُ، اسمحْ لنا نُؤدبْه، وأذَنْ لنا نُرحِّله.

يا عبدَ العزيز، أنتَ والدُنا، وولِيُّ أمرنا، قلْ: نعَم. قلْ: توكَّلوا علَى الله.

حوارٌ مباشرٌ، وكلامٌ لا تكلُّفَ فيه ولا تعْظيمَ، ومَنهجٌ أوجَدَ له المحبةَ في قُلوب شَعبه، وتَعامُلٌ أورثَهُ الوُدَّ في نُفوس مُواطنيه.

وردَّ الملكُ العظيمُ على المحتشدينَ، وقالَ لهم: وصَلَني كلُّ ما كتبتُّموه، وأحطتُ علمًا بكلِّ مَا شكَوْتموه.

إنَّ لكلِّ شيء نهايةً، فلا تَيأسُوا، وإنَّ الأمورَ مرهونةٌ بأوقاتها.

وقالَ أحُد الحضور: يا الإمامُ، نريدُ الحجَّ، ولا نريدُ أنْ نصبرَ أكثرَ ممَّا صبرنَا على تَرْك رُكن من أركَان الإسلام معَ قُدرَتنا عليه.

ليسَت مكةُ ملكًا لأحَد، ولا يحقٌّ لأحدٍ أن يمنعَ المسلمينَ أو يَصدَّ المؤمنين عن أداء فريضة الحج.

نُريدُ أن نحج يا عبدَ العزيز، فإذا منَعَنَا الحسين دخلْنَا مكَّةَ بالقوَّة.

وإذا كنتُم ـ يا الإمامُ ـ تَرَوْنَ أنَّ من المصلحة تأجيلَ الحجِّ هذا العام فلا بدَّ من التحرك إلى الحجاز لنخلِّصَ البيتَ الحرامَ من أيدي الظالمينَ المانعين الحجاج من البيت الكريم.

وقالَ الملكُ: إن مسألةَ الحجِّ من المسائل التي يرجعُ الفصلُ فيها إلى علمائنا، وها هُم حاضرونَ فليتكلَّمُوا.

وتكلَّمَ الشيخُ سعدُ بنُ عتيق، وقالَ: إن الحجَّ من أركان الإسْلام، وأهالي نَجد ـ والحمد لله ـ يستطيعونَ أنْ يؤدُّوا هذا الركنَ على الوجه الأتمِّ بالرِّضَا أو بالقوَّة. ولكنَّ من أصُول الشريعَة النظرَ إلى المصالح والمفاسد، فالأمرُ الذي قَد يؤدي إلى ضرَر أو مفسَدة يؤجَّل.

فهلْ هناكَ من مفسَدة أو مضرَّة قد تنتجُ عَن السماح لأهالي نجد بالذَّهاب إلى بَيْت الله؟

ذلكَ ما نريدُ أن نقفَ عليَه من الواقفينَ على السياسة.

وأجابَ البطلُ: الآنَ غيرُ الأمس؛ كُنَّا في الماضي نؤجِّل ونَرى أنَّ المصلحةَ الصبرُ والانتظار.

أما اليومُ فأقولُ: نحنُ لا نودُّ أن نحاربَ من يسالمُنا، ولا نمتنعُ عن موالاة من يُوالينا. لقد بذلتُ كلَّ ما في وُسْعي لحلِّ المشاكل التي بيننَا وبينَ الحجاز بالَّتي هي أحسَنُ.

وكنتُ كُلَّمَا دنوتُ من الحسين تباعدَ، وكلَّمَا لِنْتُ له تَجَافَى. إي وربِّ الكَعبة.

لستُ أرَى في تطوُّر الأمور ما ينعشُ الأملَ، بَلْ أرَى الأمورَ تزدادُ شدَّةً وارتباكًا. ولا يحسُنُ الاستمرارُ في خُطة لا تعزِّزُ حقوقَنا ومصالحَنا.

وسكتَ البطلُ، وهتفَ الجميعُ: توكَّلْنَا علَى الله، إلى الحجاز، إلى الحجاز.

وتقرَّر الزحفُ، وأخذَ البطلُ يضعُ الخطُوات التنفيذيةَ للعمليَّات العسكريَّة.

ولا غرو أن يُقرر الملكَ عبدُالعزيز استردادَ الحجاز، فتلك البقاع

الطاهرة كانت جُزءً من كيان الدولة السعودية الأولى، يقول ابن بشر في أحداث سنة ١٢٢٥هـ:

(وفيها حج سعود بن عبدالعزيز، الحجة السابعة، واحتفَلَتْ معه بالحج رعيتُه. . .

ولقد حَجَجتُ في تلك السنة وشهدتُ سعوداً وهو راكب مطيته مُحرماً بالحج، ونحن مُجتمعون في نَمِرة لصلاة الظهر، وخطب فوق ظهرها خطبة بليغة، ووعظ الناس فيها، وعلمهم المناسكَ، وذكرهم ما أنعم الله عليهم به من الاعتصام بكلمة لا إله إلا الله، وما أعطى الله في ضمنها من الاجتماع بعد التفرق وأمان السبيل، وكثرت الأموال، وانقياد عصاة الرجال.

وإن أضعف ضعيف يأخذ حقه كاملاً من أكبر كبير من مشايخ البوادي، وأعظم عظيم من رؤساء البلدان. . .

ويقول ابن بشر كذلك: ورأيت الشريفَ غالب أقبل فوق حصانه، ونحن جلوس في الصف، وليس معه إلا رجل واحد، ونزل سعود من كور[1] مطيته وسلم عليه وتعانقا. . . وأهدى غالب على سعود

(١) كُور مطيته: رَحْلُ مطيته.

هدايا سنيّة[1] وأعطاه عطايا جزيلة، وهو لسعود كأنه أحد أمُرائه الذين في نجد).

وقبل أن يبدأ الملك عبدالعزيز العمليات العسكرية، أرسل فئات من رجال البادية إلى الحدود مع العرق، وفئات أخرى إلى الحدود معَ شرق الأردنّ؛ استعداداً لصدِّ أية حركة قد تصدُرُ عن البلدَين، حيثُ يحكمُهما فيصلٌ وعبدُ الله ابنَا الـمَلك حسين.

وهاجَمَت تلكَ القواتُ، وناوشَ أولئك الرجالُ، وأرعبُوا وخوَّفوا. أمّا المواجهةُ الأولى والصدامُ التمهيديُّ معَ الحسين فقدْ ندبَ له الملكُ رجالَ البادية، وأسندَ القيادةَ إلى خالد بن لُؤَي وسلطان بن بجاد، الرجلين اللذَين قادا معركةَ تُربةَ التي أنجبتْ هذا اللقاءَ.

وحسبَ أوامر الـمَلك تجمَّعَت القواتُ السعوديةُ الزاحفةُ في تُربةَ، ثم انطلقتْ صوبَ الطائف في سريَّة، وبسرعة خاطفة.

وسارَت القواتُ التي قدِّرَ عددُها بألفَيْ مقاتل بعدَ أن وصلَ إليهم الأمرُ في شهر المحرَّم عام ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م.

---

(١) سنيّة: بالفتح أي رفيعة.

واستولَى المقاتلونَ على عدَد من المَخَافر وهم في الطَّريق، وانضمَّ إليهم أعدادٌ من رجال القَبائل، وخصوصاً الأشرافَ الحرَّثَ وثقيف.

وبذلكَ زادَ عددُ المهاجمينَ، وقاربَ ثلاثةَ آلاف مقاتل.

ووصلُوا إلى الحَويَّةَ، إحدى ضواحي الطائف، في أوائل شَهر صَفَر عامَ ١٣٤٣هـ - ٩/ ١٩٢٤م.

وعَلمَت القواتُ التابعةُ للحُسَين فخرجُوا يقابلونَ القادمين ويحاولونَ صَدَّ المهاجمينَ.

وتلاقَت الجموعُ، واشتبكَ المقاتلونَ إلا أنَّ قوَّات الحسين تراجعَتْ إلى المرتفَعات الواقعة غربَ الحوية.

ولكنَّها لم تصمُدْ طويلاً؛ حيثُ تقهقرتْ إلى الطائف ذاتها، واتخَذُوا منها ومن الجبال المحيطة بها غرباً وشمالاً مواقعَ جديدةً يطلقونَ منهَا نيرانَ مدافعهم.

وانسحبَ عددٌ من رجال البادية في الجيش الحُسيني وانضمُّوا إلى المقاتلينَ السعوديينَ، وبقُوا معَ المنتصر، وصارُوا معَ الظَّافر.

وعرَفَ الملكُ حسينٌ بهزيمة قوَّاته في الطائف، فأرسلَ ابنَه عليّاً

بنجدة من القوَّات المكوَّنة من خيَّالة وهجَّانة.

وجاءَت النجدات تتسابقُ، ووصلت إلى الطائف في اليوم الخامس من شهر صَفَر.

إلاّ أنَّ الأميرَ علياً اشتدَّ عليه ضغطُ المهاجمينَ، فخرجَ من الطائف في اليوم التالي وعسكَرَ في الهَدا.

ثم تبعَه أميرُ الطائف، وكذلكَ الجنودُ النظاميونَ وعددٌ من الأهالي، وتجمَّعُوا لدَى الأمير عليٍّ في الهَدا.

وبخُروج القوَّة النظاميَّة من الطائف لم يبقَ من عقبات أمامَ الجيش السعوديِّ الزاحف.

ولهذا اقتحمُوا المدينةَ في اليوم السابع من شهر صَفَر ودخلُوها، وتمَّت السيطرةُ على مقاليد الأمُور فيها.

واهتزَّت المعنوياتُ لدَى قوَّة الحسين بن عليٍّ، واختلَّ نظامُها، واضطربَت قيادتُها وتناقصَ رجالُها.

وانسحبَ الأميرُ عليٌّ ومَن التحقَ به من القوات، وتوجَّهَ إلى مكةَ المكرمةَ.

ولما وصَلَ إلى عرفات أوقفَه والدُه غاضباً علَيه، وصاحَ به، وحشدَ كُلَّ ما استطاعَ حشْدَه من قوَّات نظاميَّة ورجال بادية. وأمَرهُم بالعودة إلى الطائف لاستعادَتها، ولكن أنَّى لهم ذلك؟! فقدْ سيطرَ عليَها رجالٌ مخلصونَ لإمامهم، صادقونَ في ولائهم.

وامتثلَ الابنُ لأمر أبيه البعيد عَن المعارك، الجاهل بالواقع، وعادَ عليٌّ المسكينُ إلى الهَدَا مرةً أخرَى.

وعرفَ المقاتلون السعوديونَ بذلك، فهبُّوا مسرعينَ نحوَهم، وعندَ منتَصَف ليلة السادس والعشرين من شهر صَفَر بَدأ الهجومُ السعوديُّ، واشتدَّ القتالُ، وعظُمَ اللقاءُ، وتقهقرَ الأميرُ عليٌّ بجيشه.

وعلمَ الأبُ بالتراجُع، وصار يصيحُ: لا تتقهقرُوا، عُودُوا، قاتلُوا، استبسلُوا، دافعُوا.

وكُلَّما تراجَعَ الابن عليٌّ عادَ أمامَ ضغط والده، وكادَ يفقدُ حياتَه، إلا أنَّ قُوَّاته لم تستَطع الصمودَ والمُجَابَهة.

ولهذَا انهزمُوا إلى مكةَ، ولاذُوا بالبلد الحرَام، وتركُوا ما معَهم من أسلحة ومُؤن وذخائرَ، تركوها غنائم لجيش عبد العزيز.

وانتهَت المعركةُ بسيطرة رجال الملكِ عبدِ العزيزِ على الطَّائف وضَواحيها سيطرةً كاملةً.

وأسرعَ عددٌ كبيرٌ من رجال القبائل الحجازية في الانضمام إلى الجَيش السعوديٍّ المُنتصرِ.

وأصبحَ في إمكان رجال الملك عبد العزيز الزحفُ إلى مكةَ المكرمة، ولكنَّهم تريثّوا، وأرسلُوا إلى الملك عبد العزيز الذي لا يزالُ بالرياض يخبرونه بالانتصار، ويطلبونَ منه الإذنَ بمواصَلة السير إلى مكةَ المكرمة.

أمّا عليٌّ بنُ الحسين فقد عادَ مَعَ فُلول المنهزمينَ إلى مكةَ التي دَبَّ الذعرُ والخوفُ في نفوس أهلها، وفرَّ كثيرٌ منهم إلى جدة.

وأطلقَ الحسينُ بنُ عليٍّ النداءات، وبعثَ بالبرقيَّات، وهَوَّلَ، وخَوَّفَ، وأوردَ المزاعمَ، ونشرَ الأباطيلَ.

واستنهضَ هِمَمَ أتباعه، وقامَ وما قعدَ، وتلفَّتَ يمنةً ويسرةً، وأرغى وأزبد، وطلبَ المعونات الخارجيةَ.

ولكنْ ذهبتْ كُلُّ مُحَاولاته أدراجَ الرياح. ونَفَّذ اللهُ حُكْمَه،

وقضَى الله أمراً كانَ مفعولاً .

واضطربَت أحوالُه ، وفكَّرَ ودبَّرَ ، ثم قرَّرَ أن يتخلّى عَن الملك لابنه عليٍّ ، بعدَ أنْ أجبرَه أعيانُ الحجَاز علَى ذلكَ ؛ لعلَّ التنازُلَ يُحقّقُ سلماً ، ويُبْقي مُلكاً بَنَى عليه الآمالَ والأحلامَ .

ولهذا نُودي في الخامس من ربيع الأول عامَ ١٣٤٣هـ بالأمير عليٍّ ملكاً على الحجاز .

ثمَّ بعدَ عشْرة أيام غادرَ الحسينُ بنُ عليٍّ الحجازَ مُبحراً إلى العقبة . إلا أنَّ الأمورَ تطوَّرَتْ ، وأسرعَت الأحداثُ .

فقد جاءَ الإذنُ لرجال المَلك عَبد العزيز بالنزول إلى مكةَ ومُحاصرَةِ الخصومِ ، وألا يدخلُوا الحرمَ بنيةِ القتالِ .

وزحفَت القواتُ السعوديةُ ، وعندَما وصلُوا إلى قرية الزّيمة ، وعرفَ عليٌّ بنُ الحسين بقربهم خرجَ بقواته إلى جدةَ .

وبانسحاب عليٍّ بن الحسين بقيَتْ مكةُ خاليةً من سُلطة تحفظُ أمنَها ، وبَدَآ أفرادٌ منَ البادية التي كانُوا فيها ينهبُونَ بعضَ البيُوتِ التي غادرَها أصحابُها .

ولهذا اتصلَ عددٌ من أهل مكةَ بالقيادة السعودية الزاحفة، وطلبُوا منها أن تدخلَ مكة بأمان، وحَثُّوها على سُرعة الدخول لئلا تعمَّ الفوْضَى.

وتحرَّكَ الجيشُ السعوديُّ، وأسرعُوا إلى مكةَ المكرمة، ودخلوها في السابعَ عشرَ من ربيع الأول عامَ ١٣٤٣هـ - ١٥/ ١٠/ ١٩٢٤م.

ودخلُوا مُحْرِمين مهلّلينَ مكبِّرين وعليهم ملابسُ الإحرام، ولم يُرقْ دمٌ، ولم تُزهَقْ رُوحٌ.

ومنحُوا أهلَها الأمانَ، وقرؤوا خطابَ الملك عبد العزيز الموجَّهَ إلى أهل الحجاز، وفيه يوضِّحُ مآخذَه عَلَى الحسين بن عَليٍّ، والأسبابَ التي دَعَتْه إلى المجابَهة العسكرية، وتأكيدَه لهم أنه سيعاملُهم بالتي هي أحسن.

وأسرعَ ناقلُ البُشرَى إلى الرياض يزفُّ أخبارَ الدخول وسلامَةَ الناس.

وحينَ جاءَ الخبرُ إلى الملك عبد العزيز عقدَ العزمَ علَى السفر إلى الحجاز.

ودخلَ الملكُ البطلُ على أبيه الإمام عبد الرحمن في الرياض، فقبَّل يَدَيْه وسألَه الدعاءَ، واحتشَدَت الجموعُ في الرِّياض لوَداعه، وكانَ ممَّا قالَه للمودعينَ:

إنِّي مسافرٌ إلى مكةَ المكرمة لا للتسلُّط عليها، بلْ لرَفْع المظالمِ عنها.

إنِّي مسافرٌ إلى مَهْبط الوَحْي، لبَسط أحكام الشريعة، ولنْ يكونَ في مكةَ بعدَ الآنَ سلطانٌ لغير شَرْع الله وحكمه.

وانطلقَ الركبُ، وسارَ البطلُ، ولكنْ كيفَ؟

فلا طرقَ معبَّدةٌ، ولا سيارات مجهزةٌ، ولا طائرات ميسرةٌ. وإنما كانتْ الرحلةُ على ظُهور الإبل، سُفُن الصَّحْراء آنذاكَ.

وكانتْ رحلةً محفوفةً بالأخْطار؛ فهوَ ذاهبٌ إلى أغلَى البقاع، وأعزِّ الدِّيار إلى قبلَة المسلمينَ، فكيفَ سَتَنْتَهي المواجهةُ؟ وهو متوجِّهٌ إلى البَلَد الحرام الذي جعلَه اللهُ مثابةً للناس وأمنًا، فكيف سَتُخْتَمُ المنازلة؟

وسارَ البطلُ والإيمانُ يملأ جوانحَهُ، وانطلقَ الفارسُ واليقينُ يحفُّ

به، وقَصَدَ مكةَ وثقتُه بالله تزدادُ.

يقولُ حافظُ وهبة الذي كانَ معَ الركب: غادرنَا الرياضَ معَ الـمَلك عبد العزيز في ١٣ من ربيع الثاني ١٣٤٣هـ، الموافق ١١ نوفمبر ١٩٢٤م على رأس جَيش من الحضَر، من خيرَة المحاربين، يبلغُ عددُهم نحوَ خَمْسَةَ آلاف مقاتل، فقطعنَا الطريقَ منَ الرِّياض إلى مكة في ثلاثة وعشرينَ يوماً.

وكانتْ تلكَ الأيامُ من أسعد الأيَّام في حياتي. كُنَّا نَقْضي أوقاتَنا إمَّا في قراءة القرآن، أو دراسة البخاريِّ ومسلم، أو سيرة ابن هشام، وكلٌّ ذلكَ يتمُّ ونحنُ نقطعُ الطريقَ علَى ظُهور الإبل.

إنهُ الإيمانُ والثقةُ بالله، إنها سيرةُ أصحاب رسول الله ﷺ، إنهُم رجالٌ صدقُوا ما عاهدُوا اللهَ عليه.

إنهُم رجالٌ أخلَصوا لله فأكرمَهم، وصدَقُوا معَ الله فوَفَّقهم. إنه بطلٌ صَحَّت نيتُه فأعطاهُ الله، وعظيمٌ غَضبَ لله فنصرَهُ الله.

وسارَ الركبُ الملكيُّ إلى الحجاز يطوي البيدَ في سَيْرٍ وئيد، ويوماً بعد آخر والملك البطل تصله الرسائل من هنا وهناك.

وكانَ هَمُّه الحجازَ، وقَلَقهُ من الانتكاس؛ فهو مُقْدِمٌ على انتزاع سُلْطَةِ رَجُلٍ له علاقاتٌ واتصالاتٌ.

لذا تُرَى كيفَ سيكُونُ موقفُ الدُّول؟ هَلْ تلزمُ الحيادَ؟ هل تَتَدخَّلُ وتُساعدُ وتُعاضد؟ ولكنْ مَنْ توكَّلَ على الله كفَاهُ، ومَنْ استعانَ بالله أعانَه. إلا أنَّ الحذرَ مطلوبٌ، والرِّفقَ مندوبٌ.

إن مُهادَنَةَ الخُصُومِ في بعض الحالات شَجَاعةٌ، وتهدئةَ الجِراح في بعضِ الأطْوارِ بُطولةٌ.

هذا بريدٌ من البصرة يا طويلَ العُمْر، وهذا من مكةَ، وهذا من مصرَ، وهذا من الشامِ.

ويأمرُ بفتحِ الرسائلِ.

وتصلُه ذاتَ يوم رسالةٌ وذلك مساءَ ٢٣ من ربيع الثاني ١٣٤٣هـ، فيأمرُ بفَتحها في الحال على عادته، وحينَ عَرفَ مضمونَها خَرَّ ساجداً، ودعَا ربَّه.

إنها سَجدةُ الشُكْر، إنهُ المؤمنُ بالله، إنه القريبُ من الله.

ثُمَّ قالَ لمرافقيه: الحمدُ لله؛ لزمُوا الحيادَ، الحمدُ لله؛ تركُونا، الحمدُ

لله؛ ابتعدُوا عن الخصومة.

إنه يخشَى تطوُّرَ الأحداث، وتدخُّلَ الدُّول الكُبرى في النزاعِ.

إنها رسالةٌ من مكةَ تخبرُه عن موقف الحكومات الأجنبية منَ الحرب.

حيثُ تلقَّى خالدُ بن لؤيٍّ وسلطانُ بنُ بجاد من مُعتمدي وقناصل الحكومات البريطانيَّة والإيطاليَّة والفرنسيَّة والهولنديَّة والإيرانيَّة خطابَاتٍ أوردُوا فيها موقفَ حُكوماتهم، وأنهُ الحيادُ التامُّ في الحرب القائمة بينَ نَجد والحجاز، وأنه لا يمكنُهم التدخُّلُ بأيٍّ وَجه كانَ في هذا الخصامِ.

وأسرعَ الركبُ، ووصلَ قَرْنَ المنازل، واغتسلَ القومُ وأحرمُوا، واستأنفُوا السيرَ، ودخلُوا مكة معتمرينَ في اليوم الثامن من جمادى الأولى ١٣٤٣هـ، الموافق ٥ من ديسمبر ١٩٢٤م.

واتَّجهُوا إلى بيت الله الحرام، فطافُوا حول الكعبة، ثم سَعَوْا بينَ الصفا والمروة. وتهافتَ الناسُ، وأقبلُوا يرحِّبونَ بالملك عبد العزيز، ويأملُونَ على يديْه الخيرَ والأمنَ والأمانَ.

يقـولُ حـافظُ وهبـة : وصلَ عظمـةُ السلطان إلى مكةَ، وعسكرَ في الشُّهداء؛ إحدَى الضَّواحي، وأمضَى نحوَ أسبوعَيْن في الاجتماع معَ أهالي مكةَ، وشُيوخ قبائلها، فسحَرَ الجميعَ بتواضُعه وكرمِه الذي عَمَّ القاصيَ والدانيَ.

وكتَبَ عليٌّ بنُ الحسَينِ إلى الملك عبد العزيز رسالةً يبدي فيها رغبتَه في الصُّلْح .

ولكنَّ الملكَ عبدَ العزيز رفضَ، ولم يرضَ بغيرِ تَنحيَته عن الحُكم .

وبقيَ الملكُ عبدُ العزيز في مكةَ شهراً، حاولَتْ خلاله جهاتٌ مختلفة أن تصلحَ بينَه وبينَ عليٍّ بن الحسين، ولكنَّ تلكَ الجهودَ لم تنجَحْ .

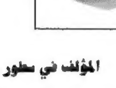
وتقرَّرَت المواجهةُ، وصارَ السيفُ سيّدَ الموقف .

وفي الحلْقَة القادمة عرضٌ للصِّراع الذي صارَ في جدةَ،

والنهايةِ التي جرَتْ في تلكَ المنطقةِ

«العروس والمهر».





المؤلف في سطور

* د. عبد العزيز بن عبدالرحمن الثنيان
* من مواليد مدينة الرياض عام ١٣٦٩هـ.
* حصل على درجة الدكتوراه في الادب العربي عام ١٤٠١هـ من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض.
* عمل معلماً لمدة عامين.
* انتقل الى جهاز وزارة المعارف، وعمل في الإدارة العامة للأبحاث والمناهج.
* عمل مديراً عاماً للتعليم بمنطقة الرياض، ولمدة عشر سنوات.
* عمل وكيلاً لوزارة المعارف، ولمدة سبع سنوات حتى تقاعده المبكر عام ١٤١٩هـ.
* شارك في العديد من الندوات والمؤتمرات واللجان، وله بعض المحاضرات والأبحاث في مجالات التربية والتعليم.
* من مؤلفاته التي صدرت:
* الوحدة الإسلامية في الشعر العربي الحديث.
* عمرو بن معديكرب الزبيدي (حياته وشعره).
* بوح الذاكرة (الجزء الأول).
* بطولة ملك (اثني عشر جزءاً).
* بوح الذاكرة (الجزء الثاني).
* مؤلفات تحت الطبع:
* إنسانية ملك (ثلاثة أجزاء).
* بوح الذاكرة (الجزء الثالث).



هذه السلسلة

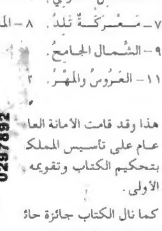
حكاية بطولة، وملحمة فتوة، ورواية عظمة، للكيان الشامخ المملكة العربية السعودية.

إنها قصة ملك عظيم، امضى زهرة عمره فوق ظهر حصانه، يُوحد ويجمع، يلمُ ويبني.

إنها مجموعة متوالية تحكي للشباب التاريخ الحافل بالبطولات، والماضي المتوهج بالتضحيات وكيف توحدت المملكة، وصارت هذه الدولة.

إنها من اثنتي عشرة قصة مُتسلسلة

١- الفُتُوَّةُ والزَّعَامَةُ. ٢- الاقتحامُ والاستِرْدَادُ.
٣- التَّحَدِّي والمُنَازَلة. ٤- تَحَالُفُ الخُصُوم.
٥- السَّاحِلُ الشَّرقِيُّ. ٦- مُحَايِدٌ ومُحَارِبٌ.
٧- مَعْرَكَةٌ تَلِدُ. ٨- المَعَارِكُ الجَبَلِيَّةُ.
٩- الشَّمَال الجَامِحُ. ... ا.
١١- العَرُوسُ والمَهْرُ. ٢ ... ة.



هذا وقد قامت الأمانة العا... ئة
عام على تأسيس المملك... بة
بتحكيم الكتاب وتقويمه ... نه
الأولى.

كما نال الكتاب جائزة حائ... ام
١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

ردمك: ٩٩٦٠-٢٠-٤٨١-٢
99042406000259